نجوم على الأرض!

للإعلام في بلاد الناس، شأن سام ومقام مرموق، فهو لسان ذلك الشعب وصوته المدوي، يبثّ أنباءه، ويدافع عن حقوقه، ويشيد بمفاخره ومآثره، ويعرّف أمم الأرض، بمن نبغ فيه من رجال العلم والأدب والفن والسياسة والإجتماع.

وعندي، اننا لو أدركنا فائدة الإعلام السويّ ذاك، منذ فجر استقلالنا المأزوم، وعمدنا الى توحيد الثوابت الوطنية والأخلاقية، وإلى إفهام العالم حقيقة قضايانا، لهززنا ضمائر معظم الشعوب والأمم، ولربحنا هذه القضايا الجامعة المانعة، من غير أن تراق نقطة واحدة من دمائنا الزكية...

القائمون على وسائل الإعلام عندهم، متحلّون بسعة العلم، وسلامة الذوق، وبُعد النظر، فتراهم يعدّون إعلامهم إعدادا منبثقا من ثقافة واسعة، ومبنيا علي دراسة محكمة، تلائم مبادئ المتلقين المشتركة، وتوافق تطلعاتهم المتسامية، وتجعلهم يتلقون ما يبسط أمامهم من أقوال وأغان وألحان، بكثير من الشغف والارتياح بل السلام الداخلي المفعم بالثقة العامة.

يظهرون مواهب أبنائهم، ويعرضون ألواناً زاهية من آدابها وفنونها.. أما وسائلنا المتخندقة، فتملأ حواسنا ليل نهار، بأغنيات سخيفة، رديئة التلحين، يكثر فيها التكرار الممل، وفي كل اسبوع نشاهد أكثر مما نسمع أو نتذوّق مغنية جديدة، وتطلع علينا بملحن ناشئ – وان هو تقلّد الآخرين – ولو كان للفن يد تتحرك، لصفعت الأولى ولطمت الثاني، لأنهما يسيئان الى قدسية الفن، ويمزقان آذان الناس، ومنهم النشء الجديد، بما يشبه الشهيق أو النعيق. ان أكثر المتطفلين على الفن أو السياسة... يحاولون تقليد كبار الفنانين القدامى وكبار المحللين السياسيين وسواهم...

لا أدري الحكمة من بث «فن» أو «حوار» لا يضيفان أي شيء الى عوالم فكرنا ووجداننا وذائقتنا... فليكفّ بعضهم عن تسويق آخرين من أنسباء ومحازبين، عبر وسيلة إعلامية واحدة تتكهن من بداية برامجها ما ستؤول إليه في النهاية وخصوصا في البرامج «الحوارية» الموجهة.

تبا لإعلام إعلاني يرمي الى أداء مغاير لقواعد الفن أو المصداقية، وبعيد عن حدود المشاعر الراقية وآفاق الوطنية بل الإنسانية والإلهام الروحي المحيي!

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه